الاغتراب في شعر كريم معتوق
-البواكير انموذجا-

م. اسراء مهدي شهيد
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

Alienation in Karim Mato's poetry
- Al-Bawaker as a model -

Lect. Esraa Mahdi Shaheed
University of Karbala
College of Islamic Sciences

ملخص البحث

الاغتراب ظاهرة برزت في المجتمعات بشكل عام ولم يكن المجتمع العربي بمنأى عنها شأنه شأن باقي المجتمعات الأخرى فبرزت في كل العصور الأدبية منذ عصر ماقبل الإسلام الى العصر الحديث والمعاصر فظهر مفهوم الاغتراب في الفكر والاحساس واللفظ في المجتمعات بشكل عام يتناولها المفكرون والفلاسفة بالتحليل والبحث وكذلك كان للشعراء نصيب من هذه الظاهرة وخاصة وهي متعلقة بالاحساس واللفظ والمشاعر فتناولوها بكل أنواعها بسبب الظروف السياسية والاجتماعية التي تسود المجتمع العربي من هنا كان اختيار دراسة ظاهرة الاغتراب كـ(موضوع) وطريقة طرحه فنياً في بعض من نماذج الشعر الاماراتي المعاصر . وفي الدواوين الاولى للشاعر كريم معتوق، بوصفه احد اشهر الشعراء البارزين في الامارات العربية ، اذ سنحاول تتبع وعي الشاعر بالاغتراب باتباع تسلسل صدور دواوينه الاولى...

Abstract

Alienation is a phenomenon that emerged in societies in general. Like other societies, the Arab society was not immune to it. Alienation emerged in all literary eras, from the pre-Islamic era to the modern and contemporary one. The concept of alienation appeared in thought, feeling and speech in societies in general, which thinkers and philosophers deal with by analysis and research. Further, poets have a share of this phenomenon, especially because it is related to feelings, expressions and emotions so they dealt with it in all its forms due to the political and social conditions that prevail in Arab society. Hence it is decided to study the phenomenon of alienation as a (topic) and the method of presenting it artistically in some of the contemporary Emirati poetry models. The first collection of the poet Karim Maatouq is one of the most prominent poets in the Arab Emirates. We will try to trace the poet›s awareness of alienation by following the sequence of the issuance of his first collections.

مقدمة:

تكتسب ظاهرة الاغتراب اهمية متزايدة في وقتنا الحاضر، اذ غدت من اكثر امراض العصر ظهورا وانتشارا. وتعد حالة (الاغتراب) حالة نفسية انسانية تسبق عادة عملية بحث الانسان عن هويته في هذا الوجود، فالفرد يبدأ بتصنيف ذاته عن الاخر من اجل ادراك نفسه كـ(موضوع) مستقل في موقعه متميز في موقفه.

وفي مرحلة ثانية يحاول الانسان بعد ادراك ذاته واستيعابها الانصهار في الذوات الاخرى في محاولة لردم مسافة التوتر والانفصال وصولا لتحقيق ذات جماعية يُنهي فيها اغترابه التي ولدتها المرحلة الاولى لمسيرته.

والشعور بالاغتراب ظاهرة بارزة في الشعر – الذي هو اشهر انواع الخطاب الانساني المعتمد على الكلمة بامكانياتها التخيلية في تأمله للوجود ومشاكله–

ولقد حاول البحث كشف جوانبه في رقعة مكانية محددة وهي الامارات، عبر اختيار البواكير الشعرية الاولى لأحد ابرز شعرائها على الساحة الفنية وهو الشاعر الاماراتي (كريم معتوق).

وان كان هذا الاختيار لا يحيط بجوانب الموضوع تماماً الا اننا لا يمكن ان ننكر ان الشاعر في خطابه ليس فرداً محضاً – وان عبر عن هم شخصي– فالكتابة بعد تحققها تتعدى حدود مبدعها الى الآخر وتتعدى حدود زمانها الآني الى زمن مطلق.

التمهيد

مفهوم الاغتراب:

المعنى اللغوي للاغتراب والغربة هو "النزوح والبعد عن الوطن"[1] اما المعنى الاصطلاحي

فهو: تصدع ذات الفرد، او انشقاقها، نتيجة عدم تواؤمها مع المجتمع والعالم المحيط بها "[٢]

لذا تعد (الذات)- بوصفها موضوعا وجودياً انسانياً- وتحديد ماهيتها والبحث عن مكانها في الوجود اولى ممارسات النشاط العقلي للإنسان، الذي يستغل ملكاته الثلاث: التفكير والتخييل والتأمل الباطني في مسيرته المعرفية تلك[٣].

والمرء لا يمكنه ان يدرك ذاته كموضوع الا بالنسبة لغيره، والوعي بوجود الاخر بوصفه موضوعا مستقلا عن الذات ومغايراً ومفارقاً عنها وغريباً عنها يُوقع المرء بما يسميه الفلاسفة والاجتماعيون بـ(الاغتراب)[٤] ا و بأحد اشكاله، والذي يتحول في مسيرة الانسان للتعرف والوصول الى حالة التوازن الى شعور يدفع الوعي الى البحث عن ذاته في الخارج، وحين ينجح بالعثور عما يتمم ذاته يتخلص من اغترابه[٥].

فالاغتراب اذاً سمة ضرورية وجوهرية للوجود الانساني، وهي مرحلة حساسة تتطلب تفهما وتعقلاً لتجاوزها والتغلب عليها بدلا من الوقوع في قوقعتها، وذلك من خلال ادراك انما هو غيري يشاركني بنفس الجنس والعقل الانساني[٦]، وان "وجود الاخر في وعينا ضرورة، وحضوره داخل وجودنا يخضعنا لقانون الحواجز واخذ الوعي بما نحن (...) وبفهم وجودي كعلائق مع الاخرين أَتجاوز انطوائي"[٧]

ويؤكد هيجل " بان الروح ينبغي ان تمر عبر مرحلة من الاغتراب في مجرى تطورها (...) من خلال التطور من الوحدة الى النقائض المنفصلة فإعادة

التوحيد"[٨]، ويقصد هيجل ان توحيد الذات الفردية بالبنية الاجتماعية التي يرى فيها الجوهر الكلي للوجود الانساني والتي يدرك المرء فيها طبيعته الحقة ويحقق التآلف مع ذاته والآخر عبرها. كما ان هيجل يرى انه من الطبيعي ان تسفر مسيرة الانسان مع ذاته – عبر هذا الوجود– عن علاقة تنافر بينه وبين ماهو غيره من حيث انه يحدد بعد للفردية المتميزة والوجود المستقل وهو إدراك ضروري تعقبه مرحلة التطابق الكامل والفوري مع البنية الاجتماعية لتحقيق البعد الحقيقي والشامل للذات[٩] .

اذاً كانت مرحلة الاحساس بالاغتراب – اي الاحساس بالانفصال وفقدان قابلية التواصل هي مسيرة الوعي الانساني في التعرف على هويته والتي تبدأ بتصنيف الذات عن الآخر لإدراك نفسه كموضوع مستقل في محاولة جادة لايجاد موقع لها وموقف خاص مبني على اسس من التوحد والتآلف مع موضوعات الوجود الآخرى.

والسؤال الذي يطرح الان: ما الذي يجعل هذه المسيرة تتوقف في العصر الحديث الى مرحلة (التموضع) ثم العجز عن الاتصال والذوبان الايجابي في البنية الكلية للوجود الانساني، والتوقف عند مرحلة الاغتراب الذي اصبح بوصفه حالة نفسية واجتماعية "ميزة للانسان في المجتمع الحديث"[١٠]، ومرتبطاً بشعور عدم الارتياح والتوتر[١١] والتمرد على ماهو قائم[١٢]،او كما يعبر عنه ارنولد كاوفمان في تعريفه للاغتراب اذ تكون علاقة الشخص بالشيء الآخر مبنيّة على شعور بالـ"سخط او عن افتقاد للرضى لايمكن

تجنبهما"[١٣]!!

بل ان المسألة غدت اكثر خطورة حيث ان حالة الانفصام تطورت لتشمل الذات نفسها ومتعالقاتها الوجودية الآخرى الاكثر صميمية. ويبدو ان سرعة التطور وما أعقبه من تغير سريع في طبيعة الاشياء المحيطة بالفرد عرقلت مسيرة الوعي في انتقاله المتوازن بين مرحلة وآخرى، فضلاً عما سببته الحضارة والتكنولوجيا المعاصرة من خلل في الحقل الاجتماعي " وكل خلل في الحقل يخلق توتراً في الفرد يدعوه لاعادة النظر في ذاته، والى تفاعله مع الغير، والى علاقاته مع الوسط الذي يغذينا"[١٤] والذي صار مبنياً على علاقة تنافر وانفصام كنتيجة لرفض- مجموعة من الاشخاص- الخضوع لقيم المادة والتشيؤ، والتعامل مع الفرد على اساس "العلاقات الانسانية" التي اصبحت مفهوماً نفسياً وقيمياً غريباً ومفارقاً لقيم المعاصرة والحضارة الجديدة، حتى غدا من الطبيعي جداً ان يكون من هو اكثر انسانية ان يكون اكثر اغتراباً[١٥].

نظرة على واقع الامارات في منتصف القرن الماضي:

لا نستطيع التحدث عن حس الاغتراب عند الاديب الاماراتي كريم معتوق في دواوينه الاولى (مناهل، طوقتني، طفولة) والمرتبط بمسببات خارجية، بدون الحديث عن الظروف العامة التي حدثت في المجتمع الاماراتي والتغيرات الاقتصادية والسياسية منذ اكتشاف النفط وتصديره عام ١٩٦٣، والقيام الرسمي لدولة الامارات العربية عام ١٩٧١، وما لحق هذه التغيرات من تحولات اقتصادية واجتماعية نقلت المجتمع الاماراتي من مجتمع يعتمد في

اقتصاده على البحر والزراعة[١٦] الى مجتمع صناعي يعتمد التقانة الحديثة ويضج بالآلات.

ولم يكن التوسع الاقتصادي السريع الذي لحق دولة الامارات " متوازياً مع ترسيخ وتوسيع فيما يلائمه من الابعاد الحضارية والثقافية والاجتماعية (...) مما خلق انجرافات حضارية"[١٧] تمثلت في ضياع الشخصية العربية التي كانت تجد نفسها في روابطها العائلية والقبلية، فوجد الاماراتي ذاته تواجه متطلبات الحياة الجديدة وحدها فلا تتمكن من تحقيقها او التكيف معها في اكثر الاحايين[١٨] هذه الحالة ادت الى بروز الفردية وتقوية الشعور بالذات مع النفور من هذه الحياة الجديدة المبنية على ضياع العلاقات وتلاشي القيم والمعاير التي الفها الانسان العربي ونظمت علاقاته، مما ادخله "في مجال صراع لا تكون نتيجته التكيف السريع بطبيعة الحال، وانما تكون نتيجة الِاغتراب الروحي "[١٩] الذي اصبح سمة ملازمة لفئتين فئة لم تستطع مواكبة التغيرات والتطورات السريعة فبقيت متخلفة عنها لقصور وعجز ذاتي،وفئة وعت بحساسية دقيقة الانقلابات واثارها السلبية ورفضت الذوبان في بوتقة التحولات الجديدة واختارت عقب مرحلة (التعرف)الوقوف من القيم الحضارية الجديدة موقف الرفض والتمرد خوفا من الوقوع في أمراضها الانسانية وضياع الذات، وفقد الاحساس بالرضا.

وسواء كان انعدام صلة الفرد مع كتلته الاجتماعية او توتره حالة مفروضة ام حلاً مختاراً، فالنتيجة هي (شرخ اجتماعي) ترك أثاره في العلائق الشخصية والعائلية والمجتمعية بل حتى مع

الذات نفسها.

وسنحاول في هذه الصفحات، دراسة ظاهرة الاغتراب كـ(موضوع) وطريقة طرحه فنياً في بعض من نماذج الشعر الاماراتي المعاصر. وفي الدواوين الاولى للشاعر كريم معتوق[٢٠]، بوصفه أحد أَشهر الشعراء البارزين في الامارات العربية، اذ سنحاول تتبع وعي الشاعر بالاغتراب باتباع تسلسل صدور دواوينه الاولى...

الاغتراب في شعر كريم معتوق:

في ديوان (مناهل) وهو اول دواوين الشاعر، نرى الشاعر يحاول خلق وجود خاص ومستقل لذاته مبني على فعل الارادة الحرة لتحقيق ما تبغيه بقوة مختارة، تحوي ما حولها بروح وثابة لتكون ما تريد، ونرى هذا واضحاً جداً في ثلثي قصائد الديوان متمركزاً بشكل بارز في قصائد مثل (كما شئت- أخي - لمن) يقول في قصيدة (كما شئت):

كن كما شئت ولكن كن من الاشياء شيئا
كن هزاراً فوق غصن يعرف اللحن شجيا
واذا شئت غرابا يملأ الافق دويا[٢١]

كما نراه ينطلق بذاته من يومه الآتي دون ان يلتفت للوراء، او يلتمس في الماضي شيئا أَضاعه يقول:

ومن ذا يُرجع الماضي لقلب شاق واتقدا
فقل إِني له أَثرٌ ومن أَمسي أُشيدُ غدا
وكن يا أنت نبراساً تضيء له بغير مدى
وجد بالنفس تواقاً وبادر للعلا أَبدا[٢٢]

ورغم غنائية قصائد الديوان المتمركزة حول الشعور بالذات غير أَنا نراه يضع (اناه) امام الآخر دوماً(المرأة كمعشوقة، الآخر

كرفيق، او الامة كذات جماعية) في محاولة منه لتقيم وجوده.

لذا نرى ان التوتر يغيب عنصر التآلف ويصيب الشاعر بالغربة النفسية نتيجة ضياع ذاته في فعل الانفصال وفقد فاعلية المشاركة، كما يؤدي الى تضخيم الشعور بالذات-وهو رد فعل سلبي- مع محاولة تسفيه قيم واقعه المعادي له وتقزيم الآخر المصطدم معه، كما نلمس ذلك في قوله:

انا يا سادتي نسرٌ
عليه تكالب الغرباءُ في المنفى
فبات بنصحهم يشقى
وصار بسخفهم يشقى (...)
انا المعتل قانوناً
انا المشدود والمعقود والمرصود
انا كالشاعر المولود
في عقر السخافات
انا الموجود في عقدٍ
عليه باضت العقد (...)
انا وحدي
وفي وطني
وفيَّ المجدُ يأتي من معاداتي[٢٣]

فالتحولات النفسية التي تصيب شاعرنا نراها في قصائد ديوانه (مناهل) من الشعور بالنشوة والشوق لخوض العالم بقوة وبحب كما في قصائده (صدفة، كما شئت، انتظار، علميني، اخي من انت،لمن) الى الاحساس بالحيرة والحزن العميق حد الألم بسبب الأزمات السياسية للأمة العربية كما في قصائده (المأساة، حصار الوجوه، بيروت والمنجم) إلى رفضه لواقعه وعصره الذي لايمكن التكيف معه في حال من الأحوال كما يقول:

إنني جئت بعصر يُعرف الذنب اعترافا
صار فيه الحب إثما قلَّ من يهوى اقترافا
إنني اهوى اختلافي عنهم أهوى

اختلافا[٢٤]

في ديوان (طوقتني)[٢٥] وفي قصيدة (اغتراب) يحاول الشاعر ربط احساسه بما حوله بنزعة رومانسية متمركزة حول بحثه عن مكان له أمام الاخر وصلة له بمن حوله يقول:

لم يعرفوك وانت تدخل
في سكون
ما قدّورك كما يكون
لم يفهموك وانت تحمل ريشة خصبى
وأوردة يجاذبها السكون
ويداً محملة بألوان التحايا
والفنون[٢٦]

فالتراكيب (لم يعرفوك، ما قدورك،، لم يفهموك) تكسر باحتضانها لأدوات النفي مسافة التآلف والوصال بين ذات الشاعر (كاف المفعول به) والآخر (واو الفاعل) الذي يهاجم بحدثيته كل متعلقات الشاعر: كينونته وأفعاله المعبرة عن ذاته التي تكون حركتها مستلبة بفعل الحركة المضادة من الآخر... والتي يحاول الشاعر التصدي لها عن طريق تجاوزها، يقول مخاطباً نفسه:

عدّ أيها العربي
شرقك لم يزل ينأى
وهذا المغرب العربي يجهل من تكون
عدّ ايها العربي[٢٧]

فالشاعر الذي يرتبط شعوره بعدم تحقق الذات امام الآخر، يخلق الانفصال النفسي والشعور بالضياع فيه رغبة صارخة بالعودة تأخذ بعدا دلاليا مزدوجا لتحقق الذات (كفرد) والذات الجماعية (خاصة للامة العربية كلها، وهو في تكراره يحاول توسيع رغبته (في العودة إلى الإمارات من حاجة فردية نفسية الى دعوة استنهاضيه للعربي للعودة

لنقطة قديمة ينهي فيه (الناي) ويوقف استمراره. وما يؤكد ان الاغتراب الذي يحسه الشاعر يأخذ مستويين (مكاني وزماني) ومستوى (فردي وجماعي) إنَّ حلوله التي يقدمها لتجاوز الإشكالية تأخذ هذه الأَبعاد المتعددة فهو يرغب باستبدال حاضره بماضيه عن طريق بحثه عن شخصية المنقذ (الذي ذهب) وليس الذي سيأتي، الذي يمثله بالنبي موسى بن عمران (ع) داعيه ليتجاوز بالشاعر البحر الأحمر عابرا به الى الشرق جهة الخليج العربي ومرة محاولته استدعاء شخصيات عربية قديمة (القائد العربي موسى بن نصير) وعقبة بن نافع محاولا أَن يُتمَّ انتماءه العربي باستدعائهما:

أسرجت اخيلتي
لتحملني بعيدا عنهم مهر الخيال
وصرخت يا موسى
عصاك.. عصاك
أوصلني بذاك الشرق
فانكسر السؤال
لم التق " بابن النصير "
ولكن لمحت القيروان
وشممت في أطلالها
اثار "عقبة" والزمان
يستبدل الأثواب
تختلف الرجال
فسكبت من ولهي حنيني فوق تربتها
وعاتبت البحار
تلك التي خيل بها وقفت
تفتش عن مسار[٢٨]

فحتى الحنين وهو نزوع النفس لتحقيق الاتصال بشيء ما لا يكون متعلقا بالحب بقدر تعلقه باللذة الناقصة والمحبطة.

ومعاتبته للبحار بعد سكبه حنينه يعني إبقاء الرغبة بالاتحاد بهذه الأرض (التي يشعر الشاعر بانتماء

تاريخي وقومي لها) غير متحققة و لذّة اللقاء بهذا الانتماء غير مشبعة مما يولد نقصا يخلق حالة أخرى من الضياع والاغتراب النفسي وتحقق الحس بالاغتراب المكاني....حين يفقد فعل المشاركة مع متعلقات الإلفة والعاطفة فاعليته ويتحول إلى رغبة محبطة يكون فعل الشاعر وصل حد الانفصال الحاد مع الاخر فيقول:

خيول الفتح ما تعبت وما زال النهار
ألقي بها
فالبحر أوقفها
وحاصرنا بهذا العقم
خلفنا صغار
أَسندت راسي بعد أَن تعبت
على كتف الجدار[٢٩]

بعد أَن يفشل مع الاخر (الصديق) والمتألف معه ليسند رأسه على كتفه !!!

والحقيقة أَن غربة الشاعر الأساسية ليست مكانية بقدر ما هي نفسية (زمانية) مثلا في قصيدة (أعاتب من) يدين اكثر الموجودات حوله (القدر – العصر – الاخر) بل حتى اكثر الاشياء حميمية بالشاعر يتعرض لهذه الادانة وهو (الشعر) يقول:

هنيئا بمستنقعات الكلام
التي جاد فيها زكام المطر
هنيئا لكم ايها الحافرون
إلى مقتل الشعر أدنى حفر[٣٠]

والشعر الذي يصبح في هذه القصيدة معادلا موضوعيا لذات الشاعر تضيع هويته في حاضره ومستقبله وليس له لكي يحقق هويته إلّا أن يعود الى ما كان[٣١] يقول:

امامك مفترق من جنون
فقف حيث انت
وكن ما تشاء
ودعنا على بعض انفاس ذكرى[٣٢]

في ديوان (طفولة) تتضح مشكلة العودة بالزمن بشكل أكبر واضح، والديوان يمثل في مجموعه قصيدة مطولة قسمت شكليا إلى عشرين لوحة[٣٣] ، تتخذ لوحاته شكلا دائريا تتمركز في نقطة بحث الشاعر في أبعاد الزمن الثلاثة عن ذاته، لتحطيم إحساسه بالاغتراب مع الاخر ومع نفسه.. يستهل الشاعر لوحته الاولى بقوله:

حين كنا في الصخر
كانت الأضواء في الليل كالأشباح
وقد كان المطر
كانتفاض الريش[٣٤]

وعندما نمضي في قراءه القصيدة حتى نهايتها ندرك أنّها- القصيدة الأولى- تشكل استهلال الديوان بكله، لتكون بنية متحركة في النص ومنفتحة عليه خاضعة لمنطق كلية النص الإبداعي، وتتحول عناصر الجملة الاولى من (الفعل الماضي الناقص - الضمير (نا) المشير للمثنى[٣٥] - شبه الجملة ذات المرجعية الزمنية الماضوية فضلا عن عنصر الضوء والمطر في الجمل اللاحقة)- الى بنى دافعة لفعالية العمل الابداعي حاملة في تركيبها نفسية الشاعر وأحاسيسه واثر تلك الحالة على سير العملية الإبداعية في مساحة الديوان ككل والذي نعرف منذ استهلاله انه انفتاح واعٍ من لحظة حاضر مأزوم على ماضٍ سعيد يسترجعه الشاعر متحسرا على براءته المضيئة وخصوبته المنتفضة.

ويشكل البناء الفني للوحة الأولى بنية مصغرة للديوان،الذي قلنا انه يشكل بمجموع قصائده سلسلة تتداخل دوائرها[٣٦] باتجاه أفقي من الماضي إلى الحاضر، فالشاعر الذي يختم لوحته بنفس جملة الاستهلال مع نفسٍ تحسري

على ضياع الصور التي رسمها لماضيه بقوله:

أَيَّما طفلين كنا
حين كنا
حين كنا في الصغر[٣٧]

يختم ديوانه بنفس النفس التحسّري على الماضي وإن صاغه بصيغة الحاضر يقول:

ليتنا لم نلتق الان
فقد كنا بريئين
و لا نؤمن بالشيطان بين اثنين
في ذاك الزمان[٣٨]

فالتحول كان في طريقة العرض للتفكير، فهو يدين في اللوحة الأولى حاضره بمقارنته بماضيه،وهو في اللوحة الأَخيرة يتحسر على ماضيه و علاقته مع حبيبته التي يشير لطفولتهما في لوحاته الاولى – من خلال إدانة حاضره.

وهو في رسمه لدائرة تلو الأخرى لا يهرب إلى زمن الطفولة ويعيش في ماضيه قدر ما يؤكد على إدانة الواقع الحاضر بآلاته وقيمه الجديدة، وهو يفعل ذلك عبر وضع الصورتين أَمام بعضهما محاولا توجيه الفكر الإماراتي "الى البحث عن وجوده خارج إطار الزمن المعيش، والتوجه نحو عالم جديد يولد من الحلم، وبالانعتاق من قيود الحاضر، يولد من خلال الماضي التليد،و تحرك المشاعر التي سادت العلاقات الإنسانية، و ما تضيئه وتشعُّه من دلالات أخلاقية واجتماعية"[٣٩] كانت لها الأولوية في ذاك الزمن.

وهو في تأمله لانعكاس صورة نفسه في كلتا الحالتين- ما كانت وما هي الان – نراه يشطر زمن القصيدة الى ماضي يرسمه بحيويته وعفويته وتآلف عناصره والحاضر بتحجره وقساوته

والاحساس بالتشتت والاغتراب وضياع الذات يقول:

لم أزل أذكر أياما مع البحر
وايّاما مع البرّ
واياما بها العمر مذاب
ومساء قد قطعناه بسيف اللهو كنا
لا نبالي انكسر الليل ام النهار
كشمع
لا نبالي...
إنّما اليوم أُبالي
بسويعات لها ظفر وناب
أبدا تنهش صبري
كلما اعتضت بدرع الصبر
يرديه اكتئاب
يا إلهي
هل لهذا الليل فجر[٤٠]

فهو في هذا الديوان يصل الى مرحلة التعرف - أي إدراك حقيقة الضياع وحجمه- عبر عرضه لأسبابه بانفعال هادئ، فالاغتراب عنده يسببه الانفتاح غير الواعي للحضارة التي لم يستطيع الفرد البسيط امتصاصها دون أن يفقد الكثير من القيم والمعايير الاجتماعية التي كانت تحفظ وحدته وتآلفه وشعوره بالأمن والاستقرار الذي فقد بالتحول إلى الحياة الجديدة. يقول مخاطبا أَباه - و هو رمز الماضي -:

يا أَبي عُد
لما نزل والله ما زلنا صغار
ما غرَّك أَن خطَّ بنا الشارب
أَو حكمتنا المفتعلة
حين لفَّتنا ظلال المرحلة
فتطايرنا شظايا
وانكسرنا كالمرايا
بانكسارات النهار
حين ودَّعنا أَماناً
كان في ظل الجدار

وحتى الحب الذي يعده هيجل الحل الأَمثل لمشكلة الاغتراب حيث يمكن من خلاله

تحقيق الوحدة مع الآخر والتآلف وصولا إلى التوحد الشامل[٤١] يفقد فعاليته في حاضر الشاعر بعد ان كان في ماضيه الشعور المثال بالالتحام وتحقيق الذات[٤٢] .

فالحبيبة التي كانت الصدر الأَمثل لحل الإحساس بالانفصال يتحول حضورها لإشكالية جديدة هي الوعي عبرها في التغيير الذي طرا على ذات الشاعر و على الآخر كروح وجسد تغييرا أفقد الحب دوره في المشاركة فتحول إلى رغبة محبطة ولذة ناقصة خلقت حالة جديدة من القلق والاضطراب النفسي يقول:

والتقينا
أَيّما صدفة جاءت بكِ في هذا المكان
أنتِ ما أنتِ التي أَعرفها
(.....)
قد تغيّرتِ ولونُ الورد في الخدِّ
قد احمرّ
وبعض الصبغ للزينة، أو يخفي
الذي يخفي
وعيناك سؤال
غربه نظرتك الحبلى بآلاف
الأحاديث
وعن مكر الرجال
وعن الأمس الذي ولّى
(....)
أنا ما عدت الذي كنت
تغيّرتُ
تنكّرتُ لأمس مرَّ لم أَبق معه
وتعلّقت بعمر طاف ما عاد لكي
يكتبني
في دفتر العودة[٤٣]

فالشاعر الذي أدرك المشكلة التي تقوقع في قمتها أدرك أنَّ مرحلة الانتقال لمعالجة المشكلة لا يكون بإرادة ذاتية فردية، لذا فهو يدعو مجتمعه الى العودة الى الماضي، وهو في هذا الطرح السلبي للحلول يعبر عن رغبة لا واعية في شفاء الذات

التي تعاني من الجراحات بسبب التحولات الحضارية وهو رغم الحاجة إلى هذا الحل الحلمي يدرك عجز الامس عن التمظهر في يومه فيقول:

يا اغترابا اغلق الباب عن الأمس
ارى العمر اغترابا[٤٤] لذا نراه
يستعين بقوى عليا لحل الإشكالية
هل لي من إياب
أَلف رُحماك أَجرني
يا إلهي من حنين الإغتراب[٤٥]

الخاتمة

عندما تتبعنا لوعي الشاعر لذاته تاريخاً (عبر دواوينه الثلاثة الأولى) نرى تحوله من ذات وّثابة متشوقة لمستقبلها، واثقة من مكانها، مرتبطة بما حولها – كما نلمس ذاك في أغلب قصائد ديوان(منهل) و(طوقني) – ماعدا (قصيدتي اغتراب وأعاتِبُ من) إلى ذات قلقة متوتّرة،متعثّرة في مسيرتها،منفصلة عن غيرها تحاول ان تعي واقعها المتأزم وحاضرها الذي هشَّمت التحولات الحضارية المفاجئة ملامحه، وما عملته على تقليل أهميّة الفرد بوصفه ذاتا مستقلة ومعروفة ومنصهرة داخل بنيتها الاجتماعية إلى (ذات) منفردة،منغلقة ومغتربة تدور حول نفسها عبر قطع صلاتها وأَواصرها مع البنية الكلية للمجتمع وضياع انتمائها...

تلك الحالة التي عرقلت مسيرة بحث الشاعر عن ذاته من مرحلة لأخرى أَوقفته عند مرحلة التموضع – الاغتراب– التي برزت كلمات محدودة في ديوانيه الأَوّلين (مناهل وطوقتني) والتي ظهرت بوصفها حالة من حالات ردود الأَفعال السلبية تجاه مواقف جزئية وسطحية يتعرض لها الشاعر.... تتوضح أَكثر من ديوان (طفولة) عبر رسمه لعالمين: ماض يمتلك

دواخل الشاعر ويشعر بحيويته على الرغم مما فيه من أَلم وفقر، وحاضر متخثّر لا لون له ولا طعم تسيطر عليه الالة ويشعر الإنسان فيها أَنّه أسيرها.

وهو في هذه العودة الزمنية يحاول حلّ إشكاليات حاضره بطريقة رومانسية اذ تكاد ان تكون احلامه بماضيه محاولة هرب تعمل على تعطيل إحساسه بالعالم الخارجي الذي يجري ضد ذاته وخلق عالم بديل يجد الشاعر فيه نفسه او بالأدق ينقذ نفسه من السقوط في الهاوية التي ينزلق إِليها العالم الانساني...

فالشاعر الذي كان أَحد المتحمّسين للمستقبل (كما نلمس ذاك في ديوانيه الأَولين) يهشّم حاضره ومستقبله في ديوان (طفولة) إثر عجزه عن مواجهة الحياة الجديدة ورفضه مستجداتها ومتغيّراتها الحضارية، كما إنّه يخشى ان يسلب التغيير نفسه وأصالته التي كان يجدها في بساطة حياته الأولى....

وإن كانت حلوله هي في الغالب سلبية إلا أننا يمكن ان نعد اغترابه حالة من حالات الحنين إلى الحياة البسيطة الأولى حيث المعرفة الخصبة القادرة على التوحد مع الذات لخلق حالة من النمو الطبيعي للفرد من خلال امتصاص قيم الماضي وتمثلها بشكل صحي وطبيعي في المستقبل وليس عبر الاستقبال الأَعمى لقيم حضارة غربية و منفصلة عن الذات العربية...

الهوامش:

١- ينظر لسان العرب:١\٦٣٩: مادة غرب

٢- الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر.م١٠، عدد١، ١١٤:١٩٧٩

٣- يُنظر: الازمات الروحية والفكرية في عالمنا المعاصر، ندوات اكاديمية المملكة المغربية، اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨١:ص١٤.

٤- يُنظر: الاغتراب: اصطلاحاً ومفهوماً ودوافع: قيس النوري، مجلة عالم الفكر، مج(١٠)، ع (١)، ١٩٧٩، ص١٤، ويُنظر كذلك: الاغتراب: ريتشارد شاخت،، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠:ص١٨.

٥- يُنظر: الاغتراب: سيرة مصطلح، د. محمود رجب، دار المعارف - مصر، ط٣، ١٩٨٨:ص١٧١.

٦- يُنظر: الاغتراب، شاخت:ص١٨، وص٥٥.

٧- التحليل النفسي للذات العربية - أَنماطها السلوكية والأسطورية:علي زيغور، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٨٧: ص١٣١.

٨- الاغتراب، شاخت، ص٨٦.

٩- ينظر: نفسه:ص٩٨.

١٠- الاغتراب: د. احمد ابو زيد، عالم الفكر، مج(١٠)، ع(١)، ١٩٧٩،ص٣.

١١- الاغتراب في الذات: حبيب الشاروني، عالم الفكر، مج(١٠)، ع(١)، ١٩٧٩،ص٧٠.

١٢- الاغتراب، شاخت، ص٢٨.

١٣- نفسه:ص٦١.

١٤- التحليل النفسي للذات العربية: ص٢٦.

١٥- ينظر: الاغتراب، شاخت، ص٥١.

١٦- يُنظر: تجارة الإمارات وأسواقها قديماً: عبد الغفار حسين، ندوة الثقافة والعلوم في (الموسوم الثقافي الاول)، دبي، ١٩٩٠، ص١٨٤-١٨٥.

١٧- التحليل النفسي للذات العربية:ص١٠٦.

١٨- يُنظر: البترول والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي: محمد الرميحي، الكويت- ١٩٧٥،ص٧٢.

١٩- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث: د. ماهر حسن فهمي، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر -١٩٧٠،ص١١٠.

٢٠- كريم معتوق: شاعر إماراتي الاصل والاقامة، عضو اتحاد كتاب وادباء الامارات، يعمل في الصحافة في كتابة زاوية يومية واسبوعية، له عدة اصدارات شعرية وسردية، ونحن ركزنا في دراستنا على بواكيره الشعرية الاولى وهي دواوينه (مناهل وطوقتني وطفولة)، ولقد وقع اختيارنا على هذه المجوعات لانها تقع ضمن فترة زمنية في تجربة الشاعر وللمجتمع الاماراتي مستقلة عن المرحلة اللاحقة التي ظهرت فيها دواوينه التالية.

٢١- مناهل: كريم معتوق، دار الفجر - ابو ظبي،(د.ت)،ص١٥.

٢٢- مناهل: ٤٩. وينظر كذلك الصفحات:١٨، ٦٣، ٥٨.

٢٣- المصدر السابق: ١١٢-١١٣.

٢٤- نفسه: ٨٦-٨٧.

٢٥- وهو ديوان يهتم بشكل رئيس برسم شكل علاقة الشاعر مع المرأة

المعشوقة.

٢٦- طوقتني: ١٤١.

٢٧-نفسه.

٢٨- المصدر السابق: ١٤٣-١٤٥

٢٩- المصدر السابق: ١٤٥

٣٠- المصدر السابق: ٤٥

٣١- وهنا يسجل الشاعر فشلا ثقافيا اخر

٣٢- المصدر السابق: ٤٦- ٤٧

٣٣- لاتحتوي قصائد الديوان على عناوين فرعية بل قسمت على شكل لوحات مرقمة، والعنوان الوحيد هو عنوان الديوان (طفولة) وهذا ما يؤكد أَنّ الديوان يمثل قصيدة واحدة بمجموعه

٣٤- كريم معتوق: طفولة، منشورات اتحاد كتاب وادباء الامارات - الإمارات العربية المتحدة (د.ت):٩

٣٥- والملاحظ أَنّ الضمير (نا) سواء أشار للمثنى او لجمع يمثل مساحة واسعة من مساحة الديوان حين يتحدث عن الماضي، بينما تطغى ضمائر المفرد في حديثه عن حاضره واغترابه فيه، ماعدا في القصيدة الأخيرة اذ يتحدث بضمير (نا) المثنى عن اغترابه بعد إسناده للزمن الحاضر وسبقه بما ينفيه..

٣٦- بنفس الجملة ((حين كنا في الصغر)) وبملاحظة باقي القصائد نرى أَنّها تغلق نفسها بنفس الكلمة أَو المعنى - أو مايشير اليه - الذي افتتحت، او بنفس الحس التحسري ماعدا اللوحة الأخيرة التي تبدأ بلحظة حاضرة وتنتهي بنفس الحس.. لتعود على استهلال القصيدة الأولى... ويمكننا القول إنّ البناء الدائري يشير إلى انكفاء الذات داخل نفسها أو الزمن الذي تحلم به أو تتأمله دون مدّ جسورها

مع الخارج خوفا منه على نفسها

٣٧- المصدر السابق: ١١

٣٨- المصدر السابق:١٤

٣٩- المصدر السابق ٢٣٨

٤٠- المصدر السابق ١٣١- ١٣٢

٤١- ينظر شاخت مصدر سابق:٨٠ وكذلك:٨١

٤٢- ينظر اللوحات (الخامسة والسابعة والثامنة والثالثة عشرة والخامسة عشرة

٤٣- المصدر السابق: ١٣٦- ١٣٩

٤٤- المصدر السابق: ١٣٠

٤٥- المصدر السابق ١٣١

المصادر والمراجع:

١. الاتجاه الرومانسي في شعر الإمارات، قصير هلا عبد اللطيف اتحاد كتاب وأدباء الإمارات الشارقة ١٩٩٩

٢. الأزمات الروحية والفكرية في عالمنا المعاصر ندوات أكاديمية المملكة المغربية أكاديمية المملكة المغربية الرباط ١٩٨١

٣. الاغتراب، الدكتور أبو زيد احمد عالم الفكر مج ١٠ \ ١٩٧٩

٤. الاغتراب، ريتشارد شاخت ترجمة كامل يوسف حسين المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠

٥. الاغتراب: سيرة مصطلح، دكتور رجب محمود دار المعارف مصر ١٩٨٨

٦. الاغتراب اصطلاحا ومفهوما، النوري قيس عالم الفكر ١٩٧٩

٧. الاغتراب في الذات الشاروني حبيب عالم الفكر مج ١٠\ع\١٩٧٩

٨. البترول والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي، الرميحي محمد الكويت ١٩٧٥

٩. تجاره الإمارات وأسواقها قديما، حسين عبد الغفار ندوة الثقافة والعلوم في الموسوم الثقافي الاول دبي ١٩٩٠

١٠. الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، دكتور فهمي ماهر حسن معهد البحوث والدراسات العربية مصر ١٩٧٠

١١. الطفولة، معتوق كريم منشورات اتحاد كتاب وادباء الامارات العربية المتحدة (د.ت)

١٢. طوقني، معتوق كريم دار المتنبي للطباعة والنشر ابوظبي ١٩٩٢

١٣. مناهل، معتوق كريم دار الفجر ابوظبي (د.ت)